

الدولة الطولونية (254-292هـ/868-905م)

احمد بن طولون (254-270هـ/868-884م)

تنسب الدولة الطولونية الى طولون والد احمد مؤسس الدولة الطولونية وينتمي طولون الى قبيلة التغرغز التركية في تركستان جيء به الى نوح بن اسد الساماني عامل بخارى وخراسان فأرسله هدية الى المأمون سنة 200 هـ / 816 م فأعجب به المأمون لذكائه واخلاصه وولاه العديد من الوظائف التي نجح في ادارتها جميعا فعينه رئيسا للحرس ولقب بأمر الستر واستمر في هذا المنصب لمدة 20 عاما :

- 1- انجب طولون العديد من الابناء ومهم احمد الذي يكنى بابي العباس الذي نشأ نشأة تختلف عن اقرانه فابتعد عن اللهو والمنكرات .
- 2- وطلب ان يتم نقله الى طرسوس فأعجبه المقام فيها وتعلم على يد شيوخها شارك بايكباك بدور كبير في التخلص من المستعين وتولية المعتز.
- 3- فكافئه المعتز على ذلك بأقطاعه مصر ، ولكن لم يذهب اليها وانما ارسل بدلا منه احمد بن طولون الذي كان قريبا له .
- 4- لم يكن له كامل الولاية على مصر وانما تولى الصلاة وتولى احمد بن المدبر الخراج الذي عرف بسوء سيرته وظلمه للناس .
- 5- حاك المؤامرات ضد ابن طولون للتخلص منه ومن طموحاته .
- 6- تمكن ابن طولون من الوقوف بوجه هذه المؤامرات عن طريق دفع الاموال واستقطابه للتجار الذين استقطبوا اليهم كبار رجال الدولة في بغداد .
- 7- عن طريق دفع الاموال ايضا فضلا عن ان كبار القادة الاتراك مثل يارجوخ وبايكباك كانوا الى جانبه وهذا ساعده في التخلص من اعدائه.
- 8- وثبت اقدامه في مصر خاصة بعد وفاة بايكباك وتولي يارجوخ مصر الذي كتب له (تسلم من نفسك لنفسك) وهذه اشارة على توليه مصر.
- 9- ولكن الخراج ظل بيد احمد بن المدبر ولكن خطره وصلاحياته كانت محدودة .
- 10- بعد ان ضيق ابن طولون الخناق عليه واستمر الوضع على هذا الحال حتى عام 263 هـ / 877 م .
- 11- عندما كتب الخليفة المعتمد لابن طولون يطلب منه الاموال فأجابه انه لا يوجد عنده اموال فالخراج ليس بيده فأرسل المعتمد كتابا بتولية احمد بن طولون الخراج وبذلك اصبح يتولى جميع شؤون مصر المالية والادارية والعسكرية.

احوال مصر الداخلية والخارجية في عهد احمد بن طولون

- 1- استطاع ابن طولون بفضل ما اسسه من جيش قوي ان يواجه التحديات الخارجية والداخلية التي واجهت دولته فافشل جميع المؤامرات التي حاولت القضاء عليه .
- 2- فقد فرضت عليه الضرورات السياسية والعسكرية في خدمة مصالحه والدفاع عن امنه في مصر الى مد حدود دولته غربا فشملت برقة كما توسع شرقا نحو بلاد الشام ووصل الى حدود العراق واسيا الصغرى .
- 3- ان بلاد الشام هي مفتاح مصر لذا عمل ابن طولون على ضمها واتخاذها خط دفاعه الاول عن دولته في مصر وبذلك مهد لمن جاء بعده من دويلات في ان يسيطروا عليها هم ايضا .
- 4- لاهميتها لمصر من الناحية العسكرية والاقتصادية فهي تمد مصر بالاشباب اللازمة لصناعة السفن وغيرها من المواد الاولية .
- 5- ولجل ان يواجه خطر الخلافة وعدم سكوتها على مد سيطرته على بلاد الشام .
- 6- مد يد العون للخلافة بعرضه عليها القضاء على ثورة عيسى بن الشيخ من جهة كما قام لاجل كسب ود الناس والتخلص من الخطر البيزنطي الذي كان يهدد وجوده في بلاد الشام .
- 7- ان الحركات السياسية التي ظهرت في بلاد الشام كان عليه ان يتبنى مبدا الجهاد للسيطرة على ثغور الشام لاسيما انه كان سمة من سمات العصر انذاك .

- 8- وقد نجح في مسعاه هذا وكسب العديد من المؤيدين خاصة بعد اضطراب امر الثغور وعدم مقدرة الخلافة العباسية على مواجهة الخطر البيزنطي لانشغالها بثورة الزنج .
- 9- ولضعف ولاية الثغور والنزاع فيما بينهم ولان عددا منهم لم يقيم في الثغور وانما ارسل من ينوب عنه للاقامة فيها ولكن هؤلاء النواب انشغلوا عن الدفاع عنها بجمع الاموال لانفسهم .
- 10- مما ادى الى استغلال البيزنطيين هذه الظروف وسيطروا على مدينة طرسوس مما اضطر الموفق لاعادة حكم الثغور لابن طولون بعد ان عزله منها لاسيما بعد ان اقتنع سكان هذه المناطق ان حماية مناطقهم وجهاد البيزنطيين لا يتم الا بقيادة ابن طولون .
- 11- كل هذه الظروف مهدت لابن طولون السيطرة على بلاد الشام فارسل لابن والي الشام المتوفى (اماجور) كتابا يبين فيه ان الخليفة المعتمد قلده بلاد الشام والثغور معا .
- 12- وطلب منه ان يقدم كافة التسهيلات للجيش المتوجه لمقاتلة البيزنطيين فما كان من علي بن اماجور الا الموافقة على طلبه وعلان الطاعة والدعاء له على منابر الشام .
- 13- وقبل توجه ابن طولون نحو الشام رتب امور مصر فعين ابنه العباس نائبا عنه ويساعده في ذلك الكاتب احمد بن محمد الواسطي وفي طريقه الى الشام كان حكام المدن التي يمر بها ابن طولون يخرجون اليه معلنين طاعتهم وولائهم له .
- 14- وعندما وصل الى دمشق خرج اليه نائبا لاستقباله وقام ابن طولون بترتيب امور بلاد الشام الادارية والعسكرية والاقتصادية ثم خرج منها حتى وصل الى حلب .
- 15- بدا بالاستعداد لشن حملته باتجاه الثغور فواجهته عقبات منها رفض صاحب انطاكية سيما الطويل اعلان تبعيته له فاضطر ابن طولون لمحاربته .
- 16- وتمكن وبمساعدة سكان المدينة الذين كانوا ناقلين من حاكمهم لسوء سيرته من السيطرة على المدينة ومنها توجه الى مدن الثغور الاخرى .
- 17- استولى على العديد منها ومن بينها مدينة طرسوس التي اقام فيها لفترة قصيرة .
- 18- سيطر على حران والرقعة وبذلك اصبحت حدود دولته متاخمة لحدود العراق ثم رجع الى بلاد الشام وفي هذه الاثناء وصلته الاخبار بثورة ابنه العباس فعاد الى مصر بعد ان رتب امور بلاد الشام من كافة النواحي .

الحركات المعارضة التي قامت ضد احمد بن طولون

- 1- حركة بغا الكبير: قاد ثورة ضد احمد بن طولون واتخذ من منطقة الكنائس الواقعة بين برقة والاسكندرية مقرا له فارسل له احمد بن طولون قائده بهم بن الحسين وتمكن من التغلب عليه وقتله .
- 2- ابن الصوفي : استطاع ان يقود حركة ثورية في اسنا ثم اخميم والواحات فأرسل اليه ابن طولون بهم بن الحسين فهرب ابن الصوفي الى مكة ثم المدينة و اقام بها حتى وفاته .
- 3- حركة ابن ابي روح : وهو من اتباع ابن الصوفي واسمه سكن خرج سنة 260 هـ / 874 م للثأر للصوفي وفشل ابن طولون في القضاء عليه ولم يقبض عليه الا بعد عدة محاولات .
- 4- حركة ابو عبد الرحمن العمري : قامت هذه الحركة ضد قبائل البجة التي كانت تغير على مناطق الثغور الجنوبية لمصر الذي تمكن من اجبار البجة على دفع الجزية فكثرت اتياع العمري وخاف ابن طولون من قوته اذ خاف ان تتحول قوة العمري هذه ضده وفشل حملته التي ارسلها في القضاء عليه ثم التخلص منه عن طريق بعض الغلمان الذين قاموا بقتله .
- 5- ثورة اهل برقة : ثار اهل برقة سنة 261 هـ / 875 م للاستقلال عن مصر فأرسل ابن طولون جيشين بريين وآخر بحري وحاصر المدينة وضربوها بالمنجنيق حتى استسلمت وخضعت له .
- 6- ثورة ابنه العباس : قام احمد بن طولون بتعيين ابنه العباس نائبا عنه في مصر عندما خرج الى بلاد الشام ولكن العباس اتصف بالحمق السياسي اذ كان يستمع الى اقوال حاشيته فبدأ بخطة للتخلص من والده وبدء بالتخلص من الوزير الواسطي فكتب الواسطي لابن طولون بمحاولات ابنه للتخلص منه فطلب ابن طولون ان يقوم بمسيرة العباس لحين وصوله الى مصر فاراد العباس التخلص من الواسطي ومكاتباته واطلع على الرسائل التي بينه وبين ابن طولون فقرر الذهاب للاسكندرية بحجة انه يريد ان يتصدى لمحاولات البيزنطيين في النزول لسواحلها ومنها انتقل الى برقة ليكون بعيدا عن مصر ورفض جميع دعوات والده بالرجوع الى مصر وبعد ما ذهب الى افريقية وادعى ان الخليفة المعتمد ولاه اياها فرحب به احمد بن

ابراهيم بن الاغلب والياس بن منصور الزناتي رئيس الاباضية .فاساء العباس وجيشه الى السكان ونهبوا مدينة لبدة وبدا بتهديد كل من ابن الاغلب والياس الزناتي فاجتمعوا عليه ودارت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة العباس وفراره من المعركة وطاردته القوات المشتركة مما اضطره للانسحاب الى برقة وفشلت محاولات ابن طولون المتجددة في اقناع العباس بالرجوع الى مصر فقرر ارسال حملة عسكرية لتأديبه وذهب ابن طولون الى الاسكندرية لمراقبة الاحداث وتمكن قائد الحملة من استمالة اصحاب العباس الى جانبه مما اضعف من قوته ومن ثم تمكن من اسره واحضاره للعاصمة وطيف به في ارجاء المدينة وتم ضربه بالمقارع ثم اعتقله والده في بيته اما من حرصه على الخروج على والده فقد صدرت الاوامر بقطع ايديهم وارجلهم ورميهم من اعلى دكة في الميدان الى الارض فقتلوا وبذلك تخلص من خطرهم .

الصراع بين احمد بن طولون وابو احمد الموفق طلحة

- 1- لقد وقف احمد بن طولون بوجه اقوى قوة في الدولة العباسية الا وهو الموفق اخو الخليفة المعتمد الذي ظهر على مسرح الاحداث بعد قيام ثورة الزنج في العراق .
- 2- فشل الخلفاء العباسيين في القضاء عليها فاستدعاه اخوه المعتمد من مكة وقام بتقسيم الدولة الى قسمين جعل القسم الغربي لابنه جعفر المفوض وجعل القسم الشرقي لاخته الموفق .
- 3- لم يكتف الموفق بذلك بل ضغط عليه ليجعله وليا للعهد من بعد ابنه المفوض فزاد ذلك من قوته واصبح بمثابة الخليفة الى جانب اخوه المعتمد .
- 4- انصرف للقضاء على ثورة الزنج وعمل على تقوية الدولة العباسية من الناحية السياسية والاقتصادية فقاد حركة اصلاحية لاعادة الحكم المركزي الدولة العباسية لذا سعى للقضاء على الدولة الطولونية .
- 5- اما عن اسباب النزاع بين الطرفين فهو يعود لاسباب عدة منها مالية اذ ان الموفق طلب الاموال من ابن طولون لحاجته الملحة اليها في حربه مع الزنج .
- 6- فارسل اليه ابن طولون الاموال على شكل دفعات خوفا من ان تتعرض للنهب في طريقها الى بغداد مما ادى لاستياء الموفق .
- 7- ومن ناحية اخرى فان علاقة ابن طولون بالخليفة المعتمد كانت جيدة وكان الموفق يخطط لعزل المعتمد من الخلافة .
- 8- علم ابن طولون بهذا المخطط وارسل كتابا للمعتمد يحذره من مؤامرة تحاك ضده لعزله من الخلافة .
- 9- تمكن بمساعدته من افشال هذه المؤامرة مما ادى لاستياء الموفق وحقدته على ابن طولون وبدا الموفق بارسال الكتب الى ابن طولون التي يظهر فيها جلليا تدخل الموفق في شؤون مصر .
- 10- عد ابن طولون هذا تهديدا له بعد كل الجهود التي بذلها لتحقيق الاستقرار في مصر .
- 11- خطط الموفق لعزل ابن طولون عن مصر وتوليها لعلي بن اماجور لذا ضغط على الخليفة المعتمد لاستدعاء ابن طولون الى بغداد .
- 12- لابعاده عن مصر ووضعه تحت الرقابة المباشرة من قبله فقام ابن طولون بارسال كاتبه احمد بن محمد الواسطي بدلا عنه محملا بالهدايا والاموال وتمكن عن طريق مؤيديه في قصر الخلافة .
- 13- ان يقنع الخليفة بان يثبتته على حكم مصر وبذلك فشلت جهود الموفق في القضاء عليه فلجا الموفق الى القوة العسكرية من اجل القضاء عليه .
- 14- وقع اختياره على موسى بن بغا ليكون واليه على مصر بدلا من ابن طولون ولكن ابن بغا خاف من قوة ابن طولون فلم يحرك جيوشه التي اقامت في الرقة بانتظار الفرصة المناسبة للزحف نحو مصر .
- 15- بعد عشرة اشهر ثار الجند على موسى بن بغا مما اضطره للرجوع الى بغداد خائبا .
- 16- كما فشل الموفق ايضا من عزل ابن طولون عن ولاية الثغور التي سبق وولاه عليها الخليفة المعتمد سنة 260هـ/874م .
- 17- ولكن الموفق لم يعترف بذلك ثم قام بعزله منها ولم يتمكن من ان يولي حاكما مناسبيا يستطيع ادارة الثغور ولما زاد خطر الدولة البيزنطية وهددوا مدينة طرسوس اضطر الموفق لارجاع احمد بن طولون لولاية الثغور .
- 18- استغل احمد بن طولون سوء العلاقة بين الموفق والمعتمد فاشار ابن طولون على المعتمد بترك العراق والقدوم الى مصر ونقل الخلافة اليها .
- 19- لاعادة القوة والهيبة للخلافة وقام برفع اسم الموفق من الخطبة كولي للعهد والطرار ايضا .
- 20- ولكن الموفق تمكن من كشف الاتفاق وطلب من اعوانه مر اقبة الخليفة فلما وصل الى الموصل قبضوا عليه وارجعوه الى سامراء .

- 21- فجمع ابن طولون الذي خرج لدمشق لاستقبال الخليفة القضاة والفقهاء وطلب منهم عزل الموفق من ولاية العهد .
- 22- تمت الموافقة على طلبه بالاعلانية اذ رفض بعض القضاة عزله وزاد في تحديه للدولة العباسية .
- 23- اثاره غضبها باقامته اربعة اروقة على قبر معاوية بن ابي سفيان في دمشق ورتب عند قبره اناسا يقرأون القرآن ويوقدون الشموع .
- 24- جعل الموفق ينتزع بالقوة امرا من المعتمد بلعن ابن طولون على المنابر في كافة انحاء العالم الاسلامي التابعة للدولة العباسية .
- 25- زاد تحدي كل طرف للآخر عندما وصل النزاع الى الديار المقدسة حيث ارسل احمد بن طولون حملة الى مكة لمنع الدعاء للموفق على منابرها .
- 26- ولكن الحملة فشلت وبدلا من ذلك قرا كتاب من الموفق في المسجد الحرام بلعن ابن طولون .
- 27- وكان من نتائج هذا الصراع اثاره السلبية على العراق ومصر فادى الى اضعافهما .
- 28- قرر الموفق انهاء هذا الصراع واللجوء الى السلام والصلح سنة 270هـ/884م والتوقف عن لعن احدهما للآخر على المنابر .
- 29- كتب الموفق رسالة يعترف فيها بشرعية ابن طولون في مناطق حكمة ولكن الكاتب عندما وصل الى الرقة وصلته الاخبار بوفاة ابن طولون فعاد الى مقر الخلافة ولم يتم هذا الاعلان بشكل رسمي .

منشآت احمد بن طولون العمرانية

- 1- بعد ان ضاقت مدينة الفسطاط بجند ابن طولون من العبيد والرجال قرريبي لهم مدينة خاصة بهم وتقع الى الشمال الشرقي من مدينة العسكربين جبل يشكروا المقطم سنة 257هـ/870م عرفت باسم القطائع .
- 2- عندما امر اصحابه بالبناء فيها اتخذت كل مجموعة قطعة خاصة بهم فكانت هنالك قطيعة للنوبة وقطيعة للروم وللفراسيين وخصص لكل صنف من الغلمان قطيعة خاصة بهم عرفت باسمهم .
- 3- اول ما تم بناؤه في المدينة هو قصر الامير او دار الامارة الذي شيد على غرار القصور العباسية في بغداد وجعل له ابواب عدة للدخول والخروج وكل باب منها اطلق عليه اسم من الاسماء .
- 4- الى جوار القصر قام ببناء المسجد الجامع الذي كان بالقرب من جبل يشكروا وتولى بناء هذا المسجد مهندس من الاقباط بعد ان فشل المهندسين المسلمين بتنفيذ المخطط الذي وضعه ابن طولون لمسجده .
- 5- وامر بان يتم تنفيذه خلال فترة زمنية قصيرة ، ويروى ان ابن طولون اخبر مهندسه ان يبني له مسجد لا يتاثر بحريق او فيضان .
- 6- فاستخدم في بنائه الجير والرماد والاجر الاحمر ، كما يروى ان ابن طولون عندما اراد بناء المدينة وجد العمال كنزا في المكان المعروف بتنور فرعون على جبل يشكروا فاستخدم ابن طولون اموال هذا الكنز في بناء مسجده .
- 7- بنى في المسجد عين تعرف باسم عين ابن ابي خلود ، والحق بالمسجد خزانة شراب فيها كافة انواع الاشربة والادوية ويجلس فيها طبيب كل يوم جمعة لعلاج الناس ومدواوتهم ، كما الحق بالمسجد منارة تم بناؤها على غرار منارة جامع سامراء .